بقدر قوة وضعف النظم من ناحية ، وتنظيم وعفوية الجماهير من ناحية اخرى .

موقع واحد تلتقي فيه على الدوام « الحرب النظامية » بـ « الحرب الشعبية » ، بل تتطابق ، ذلك هو الموقع الذي يسقط فيه المقاتل العربي شهيدا وهو يندفع لتحرير أمته . هنا لا فرق لا في « الفعل » ولا في « الاثر » ولا في الموقع التاريخي.

أهمية وضوح الحركة التاريخية :

الممارسة ليست كالتأريخ ..

الممارسة هي صنع التاريخ .. اما « التأريخ » فهو محاولة قراءة الممارسة من بعيد .. لذا فمن السهل ان ينتقد المؤرخ ويقيم الاحداث ، بينما من الصعب ان يتبين الممارس موقعه على الحركة التاريخية ..

ومع ذلك فان ما يميز الممارس عن الاخر هو درجة معرفته بموقع ممارسته والظروف المحيطة بها من الحركة التاريخية وخطته لتحقيق ارادته(١).

ولكي لا يبدو هذا التقسيم نوعا من الاستمتاع الفكري ، نستعير من حياة شعبنا مثل الفلاح الفاهم والفلاح الجاهل ، قد لا يبذل الاول جهدا قدر ما يبذل الثاني ، ولكنه على الدوام فاهم ومخطط لزراعته ، يعرف متى يحرث ، وعلى أي عمق يقلب الارض ، وماذا يبذر فيها ، وكيف يرعاها ، ولماذا يجب أن يدخر جزءا من حصاده بذورا للعام التالي . وهو في كل الاحوال لا يبدد جهدا وراء المستحيل وهو لا يحرث البحر ، ولا يبذر في الهواء ، ولا يسهر في انتظار القمر ليلة التاسع والعشرين من الشهر الهجري .. ان الفلاح الفاهم (يعي) ماذا يريد ، وكيف يحقق ما يريد ، يتصف بالواقعية والاصرار . يعي « مساره » فان واجهته أحداث مفاجئة يحدد من فوره موقع هذا الحدث المفاجىء من « مساره » وأثره .. ثم هو لا يكف عن « الفلاحة » وان اضطر لانتظار موسم جديد .

تلك أهمية وضوح اتجاه الحركة التاريخية ، ليس فقط لكي تقلل الى الحد الادنى تعرجات مسارها(٢)، وانما أيضا لكي يمكن تحديد مدى « صحة » و« أثر » كل فعل يقع خلال هذه المسيرة .. فليس كل الافعال التي تقع « أفعال واعية » أي أفعال منظمة متطابقة مع الضرورة الموضوعية « التاريخية » . بل ان الكثير منها « أفعال عفوية » تعبر تعبيرا فرديا أو جزئيا أو ناقصا عن الضرورة الموضوعية(٣). ولكن بعضها لا يعبر عن ذلك ، بل يضيع في **مسالك مسدودة تاريخيا** ، أي مسالك لا تصب في نهاية الامر لا فعلا ولا أثرا في المسار الرئيسي للحركة التاريخية .. ان التاريخ يعرف الكثير من الجهود التي تبذل لتحقيق ما هو مستحيل تاريخيا ، والتاريخ يعرف أيضا فشل هذه الجهود المؤكد . ومع نمو الوعي باتجاه الحركة التاريخية ، تزايدت محاولات اعداء تقدم الجماهير لدفع جهودها في الطرق المسدودة لتضليلها عن الطريق الصحيح اطالة لاعمارهم وتبديدا لجهودها .

فاذا كانت معرفة اتجاه الحركة التاريخية يجعلنا قادرين على تقييم « الافعال » التي تقع يوميا فانها بلا شك تجنبنا الدخول في مثل هذه المسالك المسدودة ، والسعي وراء مستحيلات تاريخية .

ان وضوح اتجاه الحركة التاريخية يؤكد الثقة فيما هو حتمية تاريخية مهما طال الطريق اليها وينفي وهم ما هو مستحيل تاريخيا ، وان برزت أخباره أو حتى تشكل له كيان مصطنع مؤقت . والامثلة من واقعنا كثيرة .. فكون تحرير فلسطين حتمية تاريخية، يجعل « الحل السلمي » مستحيل تاريخيا حتى وان تمكن المستعمرون من تجميد الصدام